(الدراسة الحوزوية في مدينة النجف الاشرف)

Seminary study in the holy city of Najaf

م.م. عمر اياد عبد الحميد

Omar Iyad Abdel Hamid

مديرية تربية بغداد / الرصافة الأولى

Baghdad Education Directorate / Al-Rusafa 1

Omer ayad hamed85@gmail.com

مستخلص البحث

في هذا البحث المتواضع نسلط الضوء على ابرز صرح إسلامي ديني علمي وهي الحوزة العلمية في النجف الاشرف من خلال عرض موجز لتاريخ نشوءها وتطورها ومراحل الدراسة الحوزوية فيها والاقسام الداخلية في الحوزة وابرز المدارس الدينية التي شيدت في مدينة النجف الاشرف والمناهج الدراسية والكتب التي تدرس في الحوزة العلمية والالقاب العلمية وإجازة التدريس والاجتهاد .

الكلمات المفتاحية : الحوزة العلمية – المدارس الدينية – النجف الاشرف – المرجعية الدينية – الاجتهاد

Summary :

In this research we shed light on the most prominent Islamic religious and scientific edifice, which is the seminary in Najaf through a brief presentation of its history, development and stages of evolution in addition to the internal departments the most prominent religious schools , that were built in the holy city. Also the study sheds light on the curricula, books taught in the seminary, scientific titles , teaching license and diligence .

Key words: scientific seminary – religious schools – Al-Najaf Al-Ashraf – religious reference – Ciligence .

المقدمة

الحوزة العلمية الدينية هي المكان الذي يقصده طلاب العلوم الدينية لينهلوا من المعارف والعلوم الإسلامية المكتنزة في عقول المراجع والعلماء والفضلاء، كما أن الحوزة هي التي تتولى تبليغ الإسلام ونشره بين المسلمين وغيرهم، وهي التي تتولى الدفاع عن الإسلام في مواجهة المشككين والمنحرفين وأصحاب البدع الباطلة، وهي التي تخرّج المراجع والمجتهدين والمبلغين ليحملّوا الإسلام الى كل بقاع العالم لهداية الناس وإرشادهم وإنقاذهم من طرق الفساد والكفر والانحراف.

تتميز الحوزة العلمية الإسلامية بكونها الحوزة الوحيدة في العالم الإسلامي التي لم تقفل باب الاجتهاد منذ انتهاء عصر النص وهو عندنا يبدأ من أول أزمنة الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه وإلى اليوم، ولا يزال فقهاء الحوزة يجتهدون ويستنبطون الأحكام الشرعية من القرآن والسنّة الشريفة لكل ما يطرأ من أمور متجددة لم تكن معروفة في العصور السابقة نظراً لتطور المعرفة والتقدم العلمي الذي وصلت اليه البشرية في زماننا هذا .

إن من أهم أسباب بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه في الحوزة هو استقلالها المعنوي والمادي عن السلطات السياسية التي حكمت مسيرة المسلمين، وهذه الاستقلالية هي التي أبقت الحوزة بعيدة عن الضغوطات والمضايقات، وحتى لو حصل شيء من ذلك ، فإن كبار العلماء في كل زمن كانوا يرفضون الرضوخ للسلطات القائمة. ومن الأسباب أيضاً الاستقلالية المالية للحوزة الشيعية عن السلطات الحاكمة، فقد كانت الحوزة تعمل على تأمين مصاريف المراجع والعلماء وطلبة العلوم الدينية في الإسلام، بينما استطاعت السلطات الحاكمة، خاصة في

الزمن العباسي، إقفال باب الإجتهاد عند المسلمين الآخرين وحصرت المذاهب بأربعة فقط الحنفي، الحنبلي، المالكي، والشافعي، ولم تعتمد أية سلطة حكمت المسلمين المذهب الشيعي كمذهب رسمي بسبب رفض زعماء الحوزة الشيعية عبر التاريخ الإسلامي الطويل الرضوخ لأي سلطة حكمت واستولت على أمور المسلمين ومن الواضح جداً أن طريق حفاظ المسلم على الاستقامة في تطبيق الإسلام يتوقف على معرفته بأحكام دينه والالتزام بها ، وهذا يعني أن يكون هناك علماء يقومون بهذه المهمة الجليلة والخطيرة في نفس الوقت. ونظراً لأهمية هذه المسألة نرى أن الله عز وجل هو الذي أصدر أمره الإلهي للمسلمين ليتلقوا العلوم الإسلامية ويبلغوها لأتباع الإسلام، وهذا ما ورد في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، فالآية هذه وإن لم تشتمل ضمن ألفاظها على كلمة حوزة إلا أنها تحوي معناها ووظيفتها، وهي دعوة للمسلمين لأن يعملوا على تأسيس مكان أو أماكن متعددة على امتداد العالم الإسلامي لكي تتلقى فيها مجموعات من أبناء الإسلام علوم هذا الدين، ومن ثم يرجعون إلى شعوبهم وبلدانهم ليمارسوا المهمة التبليغية للناس، وكل مكان من هذه الأماكن هو الذي نسميه بـ الحوزة الدينية التي ينبغي أن تحتوي بحسب العرف القائم على الآلاف من طلبة العلوم الدينية والفقهاء والمراجع الذين يقومون برعاية الأمور في الحوزات ويشرفون على حسن سير الأمور فيها من النواحي التعليمية والأخلاقية وغير ذلك. فالحوزة ليست مجرد مكان لتعليم العلوم فقط، وإنما هي المكان المعد لتخريج العلماء والمبلّغين الذين ينبغي أن يكونوا مؤهلين من كل النواحي: العبادية والإيمانية والأخلاقية والسلوكية حتى يكونوا ذا أثر فاعل بين الناس عندما يمارسون مهامهم وواجباتهم الدينية .

الظهور الأول للحوزة

من المعلوم أنه بعد حادثة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان الخلفاء الأمويون متسلطين على الإسلام والمسلمين فلم يسمحوا للأئمة عليهم السلام أو لأتباعهم أن يعملوا بحرية، وهذه الطريقة من التعامل مع الأئمة هي التي ابتدعها معاوية فقد عمل على ترويج روايات غير صحيحة منسوبة الى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه لكي تصبح متداولة بين المسلمين وتكون سبباً لانحرافهم عن الإسلام المحمدي الأصيل، وسعى أيضاً إلى التخلص من الإمام الحسن عليه السلام عبر إغراء زوجته ونجح في ذلك واستشهد الإمام الحسن عليه السلام مسموما على يد زوجته جعدة بنت الأشعث (لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ١٤٣٢هـ، صفحة ج٤، ص١٨٤).

لكن ما حدث بعد كربلاء أدى الى حصول شعور عام عند الأمة بأن هناك خطراً على الإسلام، مما دفع بالكثير من الثورات أن تقوم ضد الأمويين مما أدى الى إنهاكهم وإضعاف حكمهم. في هذه الفترة بالذات كان الإمام الباقر عليه السلام هو الذي استلم زمام الإمامة بعد أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام وفي تلك الفترة انشغل الأمويون بإخماد الثورات التي قامت ضدهم، مما جعل الرقابة على الإمام الباقر تضعف، فسمح بالتالي للإمام عليه السلام بجمع مجموعة من الأصحاب المخلصين من أجل أن يعلمهم ويزودهم بروايات النبي صلى الله عليه وآله لينشروها بين المسلمين، وكان منهم زرارة بن أعين و أبو بصير و بكير بن أعين و محمد بن مسلم.. (لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ١٤٣٢هـ، صفحة ج٧، ص٣٢).

وبعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام تسلّم الإمامة بعده ولده الإمام الصادق عليه السلام، وكانت السلطة الأموية قد ضعفت أكثر وانحصر اهتمامها بالدفاع عن سلطتها، مما أعطى الامام الصادق عليه السلام الفرصة الذهبية الكبيرة فانطلق ينشر فقه آل بيت محمد صلى الله عليه وآلة بين المسلمين كافة في المدينة المنورة حيث كان يقيم، وسرعان ما انتشر حديث الإمام عليه السلام وشاع ذكره بين المسلمين، فاندفعت إليه جموع الدارسين والباحثين عن المعرفة بالإسلام، حتى صار المرجع الأول بلا منازع على امتداد مساحة العالم الإسلامي، وصار الطلبة يأخذون عنه العلوم الدينية وغيرها أيضاً كما في علوم الطب والكيمياء والحساب.. (لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ١٤٣٢هـ، صفحة ج٨، ص٦٧)

وهكذا كانت المدينة المنورة النواة الأولى لنشوء الحوزة الشيعية الإسلامية، حيث ازدهرت فيها الحركة العلمية وتوافد إليها العلماء من كل أقطار الدولة الإسلامية آنذاك ليتلقوا العلوم على يد الإمام الصادق عليه السلام ،وقد قال ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر حديثه في جميع البلدان، وروى عنه الائمة الأكابر، كيحي بن سعيد وابن جريج ومالك وأبي حنيفة وغيرهم. (لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ١٤٣٢هـ، صفحة ج٦، ص١٨٤) بعد المدينة المنورة انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة لمدة من الزمن لأنها كانت من أكبر المدن الإسلامية آنذاك وكان فيها حركة تجارية ضخمة مما دفع بالكثير من المسلمين من مختلف البلدان للتردد عليها آنذاك، فوجد الإمام ان الانتقال إليها مفيد أكثر للحركة الفقهية ولنشر العلوم الإسلامية الاصيلة، وهكذا كان، ومن هنا يمكن القول بأن الكوفة هي المكان الأساس الذي انطلقت منه الحوزة الشيعية بقوة بعد النواة الأولى التي تأسست على يد الإمام الباقر عليه السلام في المدينة المنورة، فقد ورد عن الحسن بن علي بن زياد الوشاء أنه قال لابن عيسى القمي إني أدركت في هذا المسجد . مسجد الكوفة . تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام. وقد وصل عدد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام على امتداد مراحل إمامته وقيادته للحركة العلمية أكثر من أربعة آلاف في

شتى العلوم والمعارف. ومن أبرز طلابه كان أبان بن تغلب و هشام بن الحكم و يونس بن عبد الرحمن و جابر بن حيان (لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ١٤٣٢هـ، صفحة ج٨، ص٦٧).

ويضاف إلى إنجازات الإمام الصادق عليه السلام هو تشجيعه على تدوين كتابة الأحاديث والروايات لأن مجرد الاعتماد على الذاكرة لا يشكل أساساً متيناً لحفظ التراث الإسلامي، مع ما فيه الحفظ من خطر النسيان أو التحريف والتزوير، وهكذا شرع طلاب الإمام الصادق عليه السلام بتدوين الحديث والسيرة حتى تحفظ من النسيان والتحريف، وقد قال الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة أن هناك مائتي رجل كتبوا الأحاديث التي سمعوها عن الإمام الصادق عليه السلام وحده، بينما وصل مجموع ما كتبه الرواة عن كل الأئمة عليهم السلام حوالي سبعمائة وخمسين كتاباً ،ولم يقتصر دور الإمام الصادق عليه السلام على رواية الحديث فقط، بل تعداه إلى توضيح حقيقة الكثير من الأمور والأفكار الرائجة في ذلك الوقت كالقياس والاستحسان، فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال في محاربة القياس: إن السنة اذا قيست محق الدين، إن أول من قاس إبليس عندما قال: خلقتني من نار وخلقته من طين ،وكذلك نرى أن الإمام الصادق عليه السلام دافع عن مفردات العقائد الإسلامية بعد شيوع المدارس العقائدية ما بين جبر وتفويض، فوقف الإمام موقفاً حازماً من هذه المسائل العقائدية وقال عليه السلام: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين. (النوري، ٢٠١٣، صفحة ٤٧)

وكذلك وضعت مدرسة الصادقين عليه السلام الموازين للتمييز بين الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة بسبب الرواة الوضّاعين الكذابين، أو للتفاضل بين الاخبار المتعارضة المنقولة عن الأئمة للتمييز بين ما يعمل به وما لا يعمل به، وفي هذا يقول الإمام الباقر عليه السلام لزرارة بن أعين يا زرارة خذ ما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر، فقلنا يا سيدي: إنهما معاً مشهوران؟ قال: عليه السلام: خذ بما يقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك، فقل: إنهما عدلان موثقان؟ قال عليه السلام: أنظر إلى ما وافق العامة فاتركه، وخذ بما خالف فإن الحق فيما خالفهم . (النوري، ٢٠١٣، صفحة ٥٧)

وباختصار يمكن القول إن زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام هو الذي تأسست فيه الحوزة الإسلامية الشيعية، وخرجت نفسها على المسلمين جميعاً حتى صارت المرجع الأول والأساس في كل الحركة العلمية والعقائدية والفقهية والفكرية.

تشريع أصول استنباط الاحكام

ولم يقتصر دور الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام على نشر الحديث النبوي وتبيان الأحكام الفرعية فقط، بل عملوا على تأسيس نواة علم اصول الفقه لاستنباط الأحكام، والسبب في ذلك أن مساحة العالم الإسلامي الكبيرة وصعوبة الانتقال من البلاد المختلفة إلى المدينة أو الكوفة لأخذ العلم عن الإمامين عليه السلام كانت تستدعي وضع الأصول التي يمكن للرواة العدول والثقات منهم أن يطبقوها على مواردها عندما يسألهم الناس عن الحوادث المختلفة والإشكالات الشرعية التي يمرون بها، ولذا نجد أن هناك أحاديث عن الإمامين عليه السلام تتضمن قواعد فقهية أو أصولية مثل قاعدة الطهارة: كل شيء لك طاهر حتى تعلم أنه نجس، والاستصحاب: ولا ينبغي لك ان تنقض اليقين بالشك، ولكن انقضه بيقين مثله وقاعدة الضمان: على اليد ما أخذت حتى تؤدي. (النوري، ٢٠١٣، صفحة ٦٧)

وأصالة الحلية: كل شيء لك حلال حتى تعلم الحرام بعينه فتدعه، وكذلك قواعد تقديم حديث على آخر في مقام الاستنباط. (لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ١٤٣٢هـ، صفحة ج٨، ص٨٧)

وهذه القواعد سواء في المجال الفقهي أو الأصولي هي التي صارت فيما بعد – عندما تم تدوين العلوم– أساساً لعلمي الفقه والأصول اللذين هما عماد وركن الحوزات العلمية اليوم .

ومن هنا يمكننا أن نعتبر أن العلوم الدخيلة في الاجتهاد عند الفقهاء قد تكونت ركائزه الأولى في زمن الإمامين عليهما السلام، وصار أمراً واقعاً بعد بداية زمن الغيبة الكبرى حيث انتهى عندنا زمن النص وبدأ زمن الاجتهاد واستنباط الأحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية وأحاديث المعصومين عليهم السلام.

وبقي الأمر على الحال الذي أسسه الإمام الباقر وابنه الإمام الصادق عليهما السلام إلى انتهاء زمن الغيبة الكبرى، حيث غاب الإمام المهدي الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه عن الأبصار إلى يوم الوقت المجهول عندنا والمعلوم عند الله سبحانه، ففي بداية تلك المرحلة صار الرجوع إلى العلماء هو الطريق الأوحد لمعرفة الناس أحكامهم الشرعية ، وصار الاعتماد على المراجع هو الأساس، مما أدى بالتالي إلى أن يصبح وجود الحوزات العلمية ضرورة لا بد منها من أجل تحصيل رتبة الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية للمكلّفين . (النوري، ٢٠١٣، صفحة ٩٧)

ان النجف الاشرف كانت وما زالت مركزا دينيا وعلميا وثقافيا وبها اكبر جامعه اسلاميه الا وهي الحوزة العلمية وقبل الشروع في تفصيل الدراسة الحوزوية في النجف الاشرف، لابد من إعطاء صورة عن مدينة النجف وسبب تسميتها بهذا الاسم، وعن بداية الجامعة العلمية فيها ومناهجها الدراسية، ومدارسها .

– النجف:

إن "النجف" اسم لبقعة من الأرض في الوسط الغربي الجنوبي من العراق على مقربة من الحيرة والكوفة.

عن معجم البلدان عند ذكر النجف: (قال السهيلي: وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) (آل محبوبة، ١٩٥٨، صفحة ٧)

وفي كتاب "البلدان" لليعقوبي بعد ذكر الكوفة ووضعها قال: (والحيرة منها على ثلاثة أميال والحيرة على النجف، والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة) (آل محبوبة، ١٩٥٨، صفحة ٦)

ويتبين من كتب التاريخ مثل تاريخ الطبري وأبن الأثير، والكتب الأدبية والعلمية، أن النجف كانت قرية عامرة على ظهر الكوفة لها أهلها وأصحابها، ففي كتاب حياة الحيوان للدميري في حرف الحاء عند ذكر الحية قال: (إن خالد بن الوليد لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من قصورهم نزل بالنجف وأرسل إليهم أن ابعثوا إليّ رجلاً من عقلائكم فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني وكان من المعمرين فقاوله) (آل محبوبة، ١٩٥٨، صفحة ١٨)

كما ويتضح من الأحاديث والروايات أن مواراة جثمان الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام [*١] (القمي، ١٤٢٦هـ، صفحة ٢٨٦) لم تكن في النجف، وإنما كانت على مقربة منها وفي بقعة تسمى بالثوية، ثم انسحب اسم النجف لشهرتها وقدمها، على البلد الذي انشأ من حول مثوى ومرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بعد أن هُجِرَ أسم الثوية.

---

[*] في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة أستشهد الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ طعنه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بسيف مسموم في رأسه أثناء سجوده في صلاة الفجر في مسجد الكوفة يوم التاسع عشر من شهر رمضان وبعد ليلتين من الطعنة أستشهد عليه السلام.

– الحوزة العلمية في النجف الاشرف:

إن تاريخ النجف كمدينة علمية وجامعة للدراسات الإسلامية في أصول الفقه والفلسفة وتفسير القرآن الكريم والحديث يعود إلى نظريتين:

النظرية الأولى:

إن الحركة العلمية الدينية انطلقت في النجف الاشرف قبل مجيء الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي إليها بأعوام كثيرة، وإن طلاب العلوم الدينية قد وفدوا على النجف الاشرف، وأقاموا نواة الحوزة العلمية، منذ الأيام الأولى بعدَ تخفيف الطوق على مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان التحاق الشيخ الطوسي عام ٤٤٨هـ – ١٠٢٧م من قبيل إطلاله بدر منير على النجوم المضيئة في السماء العلمي والديني والفكري للنجف إذ غيرَّ المعالم العلمية والفكرية في هذهِ الحوزة، وبعث فيها روحاً جديدة، وأوجد نهضة علمية في النجف الاشرف لم تعهدها من قبل، ولهذهِ النظرية استدلالاتها (الغروي، ١٩٩٤، الصفحات ١٩–٣١)

النظرية الثانية:

إن الجامعة العلمية الدينية في المشهد العلوي قد تكونت على يد الشيخ الطوسي بعد هجرته من بغداد أثر فتنة طائفية أثارها السلاجقة أبان حكمهم للعراق عام ٤٤٧هـ (الحكيم م.، ١٤٢٤هـ، صفحة ٢٣٢) (الغروي، ١٩٩٤، الصفحات ٣١–٣٨) ، والتي كان من أثارها الهجوم على دار الشيخ الطوسي وإحراق محتوياته ومكتبته وكرسيه لتدريس علم الكلام وكذلك إحراق مكتبات أخرى. فكان رحيل الطوسي إلى النجف عام ٤٤٨هـ ١٠٢٧م بداية عهد جديد في حياة النجف التي غدت مدينة للعلم والعلماء ومزاراً في الوقت نفسه. ولهذه النظرية استدلالاتها أيضاً. (بحر العلوم، ١٩٦١، صفحة ١٦)

مرت الحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف، منذ يوم تأسيسها وإنشائها، بأدوار مختلفة، وعهود متنوعة، ينشط العلم والبحث حيناً، وتتوقف الحركة الفكرية حيناً آخر حسب العوامل الأمنية والسياسية والجغرافية والاقتصادية التي كانت تلم بالنجف الاشرف، إذ نرى أن الحركة العلمية الدينية تتنقل من النجف بعدَ وفاة الشيخ الطوسي بقليل إلى مدينة الحلة في العراق ثم تعود إلى النجف الاشرف لبضع عقود من الزمن ثم تتوجه إلى مدينة كربلاء ثم تعود إلى النجف الاشرف معَ العلم بأن الحوزة العلمية خلال هذه الأدوار والمدد لم تغب عن مدينة النجف الاشرف وإنما كانت تضعف حركتها ويتقلص عدد العلماء وطلاب العلوم الدينية فيها حيناً، وتنشط الدراسة والبحث العلمي، ويزداد عدد الوافدين على الحوزة لتلقي العلوم الإسلامية حيناً آخر (الحكيم م.، ١٤٢٤هـ، صفحة ٢٣٨)

ففي القرن الرابع عشر الهجري ازدهرت الحوزة العلمية في النجف بالعلم والعلماء والفقهاء والمؤلفين والباحثين والطلبة من كل مكان وافدين إليها من أقطار مختلفة وجنسيات شتى وبناءً على ذلك قد شيدت فيها مدارس دينية لاستقبال الطلبة واكتظت المساجد بحلقات الدرس والبحث في علوم الفقه وأصوله والتفسير والفلسفة والعلوم الدينية.

– المدارس الدينية في النجف الاشرف :

لقد شيدت في النجف مدارس دينية كثيرة منذ مجيء الشيخ الطوسي إليها إذ أصبحت محط أنظار أكثر البلدان الإسلامية وغدت على مر الزمن مركزاً علمياً مهماً فقد وفدَ إليها عدد كبير من الطلبة من جنسيات مختلفة للدراسة في مدارسها. إن وظيفة المدارس العلمية الدينية في النجف الاشرف تختلف عن وظيفة المدارس الرسمية الحديثة، وذلك أن المدارس والمعاهد التي تنشأ وتبنى لتدريس العلوم الحديثة على مختلف مستوياتها الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعة، تكون مركزاً للتدريس والتثقيف، ومحلاً للأبحاث والمختبرات إذ يجتمع الطلاب مع الأستاذ في غرفة أو قاعة وفي ساعة محددة فيلقي الأستاذ الدرس على الطلاب، ويخرج بعد انتهاء الدرس ويتفرق الطلبة ويعودون في اليوم الثاني في نفس المكان ويستمعون إلى بقية الدرس من الأستاذ ذاته أو غيره وهكذا حتى تنتهي السنة الدراسية.

أما المدارس التي تقام في الحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف فهي عبارة عن بناية (حوش كبير) تحيط بهِ أبنية مشيدة فيها غرف صغيرة لسكنى الطلبة مع مكتبة تتناسب مع حجم المدرسة ومرافق مشتركة ودورة مياه وسرداب تحت الأرض للنوم فيه إثناء وقت الظهر للوقاية من ارتفاع درجات الحرارة أيام الصيف وسطح للرقود فيه أثناء ليالي الصيف ولا تكون هذه المدارس مخصصة للدروس والمحاضرات العلمية فقط وإنما أيضاً مباني لسكنى طلاب العلم، والسبب في ذلك هو أن طالب الدراسات الدينية يترك بلده من الهند أو باكستان أو لبنان أو إيران أو الخليج العربي أو أفريقيا أو أوربا أو مدن العراق، ويفد على مدينة النجف الاشرف ويريد الإقامة فيها لمدة طويلة ولسنوات عديدة، فيحتاج إلى مسكن يتخذه مأوى له ويستقر فيه والا سيما أن معظم الوافدين لدراسة العلوم الدينية يكونون من عوائل فقيرة ومحتاجة، فتبنى هذه المدارس لاستقبال القادمين للسكن ولتعلم الدراسات الدينية بعدَ توفير وسائل الحياة فيها (الغروي، ١٩٩٤، الصفحات ٢١١–٢١٢) وهذه المدارس التي شيدت في النجف الاشرف منذ أن حط الشيخ الطوسي رحلة بها كثيرة قد أندثر بعضها وبقي بعضها الآخر (آل محبوبة، ١٩٥٨، صفحة ١٢٤).

ومن أبرز المدارس الدينية التي اسست في النجف الاشرف:

مدرسة المقداد السيوري :نسبة الى الفاضل المقداد السيوري المتوفى سنة ٨٢٦ هجرية

مدرسة الصدر: وهي أقدم المدارس الحاضرة، وأوسعها، وفيها ما يزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد.

مدرسة المعتمد: أُسست سنة ١٢٦٢ هـ، وجُدّد بناؤها بعد ذلك، وهي تحتوي على ٢٠ غرفة.

مدرسة الشيخ مهدي: كان أول بدء تأسيسها في سنة ١٢٨٤ هـ، وتحتوي على ٢٢ غرفة.

مدرسة القَوام: تمّ بناؤها سنة ١٣٠٠هـ، وفيها ٢٦ غرفة.

المدرسة السليمية: أُسست سنة ١٢٥٠ هـ، وتحتوي على ١٢ غرفة.

مدرسة الإيرواني: تأسست سنة ١٣٠٥ هـ، وفيها ١٩ غرفة.

مدرسة القَزويني: تأسست سنة ١٣٢٤ هـ، وفيها ٣٣ غرفة في طابقين.

مدرسة البادْكُوبئي: تأسست سنة ١٣٢٥ هـ.

مدرسة الشربياني: تأسست في حدود ١٣٢٠ هـ، وفيها ١٢ غرفة.

مدارس الخليلي: أ . الصغرى، مؤلفة من طابقين، وفيها ١٨ غرفة، تأسست سنة ١٣٢٢ هـ. ب . الكبرى، مؤلفة من طابقين، وفيها ٤٦ غرفة، تأسست سنة ١٣٣٠ هـ.

مدارس الآخوند الخراساني: أ . الكبرى، وفيها ٤٠ غرفة، وهي في طابقين، جدرانها مكسوّة بالقاشاني، تمّ بناؤها في سنة ١٣٢١ هـ، وجدّد بناؤها عام ١٣٨٥ هـ. وزيدت حُجرها إلى ٨٠ حجرة. ب . الوسطى، وفيها ٣٣ غرفة، وجدرانها مكسوة بالقاشاني، تم بناؤها في سنة ١٣٢٦ هـ. ج . الصغرى، وفيها ١٢ غرفة، تم بناؤها في سنة ١٣٢٨ هـ. ١٣. مدرسة الهندي: وفيها ٢٠ غرفة.

مدرسة البخارائي: نسبة إلى مؤسسها محمد يوسف البخارائي تم بناؤها في سنة ١٣٢٩ هـ، وجدّدت في سنة ١٣٨٠هـ.

مدرستا محمّد كاظم اليزدي: الأولى والثانية وتشتمل على ثمانين غرفة، مؤلفة من طابقين، وجدرانها مكسوة بالقاشاني، تأسست سنة ١٣٢٥ هـ، والثانية عام ١٣٨٠هـ، بأمر من الإمام الحكيم.

مدرسة البُروجردي: تحتوي على ٦٤ غرفة، في ثلاثة طوابق، وفيها مكتبة حافلة بالكتب العلمية والفقهية وبعض المخطوطات، وكان تأسيسها عام ١٣٧٣ هـ.

جامعة النجف الدينية: وهي أضخم مدرسة في النجف على الإطلاق، إذ أنها تضمّ أكثر من مئتَي غرفة في ثلاثة طوابق، وفيها مكتبة جامعة لنفائس الكتب، وطائفة من المخطوطات الثمينة، وفيها مسجد. وهي من أحسن المدارس بناءً وتصميماً، وقد بوشر ببنائها في سنة ١٣٧٦ هـ، على قطعة أرض في حي السعد، تبلغ (٥٠٠٠) متر مربع.

المدرسة اللبنانية: وموقعها في الجُدَيدة.

المدرسة الأُزرية: وهي في الجديدة أيضاً.

مدرسة البغدادي: في حي السعد، وهي مدرسة جيدة وحديثة البنيان، فيها غرف كثيرة.

وغيرها من المدارس الدينية في مدينة النجف (الصالحي، ٢٠٠٤، صفحة ١٢٩).

– طريقة التدريس في الحوزة العلمية في النجف الاشرف:

أن الدراسة في حوزة النجف لا تعتمد على أساس نظام الصفوف فهي فردية تتم على شكل حلقات، كما لا يوجد فيها نظام للامتحانات أو لمنح الشهادات، وإنما يترك للطالب حرية اختيار الكتاب الذي يريد دراسته، والأستاذ الذي يتلقى على يديه من علومه، وحتى مكان الدرس وزمانه فانه لا يوجد شيء محدد وإنما يتم تحديده من الأستاذ وطالبه، وكثيراً ما يكون في الصحن الحيدري أو في أحدى المساجد أو المدارس، فالطالب أما يشارك غيره من التلاميذ في الحضور على الأستاذ، أو يطلب من أستاذ يتعرف عليه لتدريسه لوحده أو لمجموعة من التلاميذ، كما لا مانع للتلميذ من مغادرة الحلقة الدراسية أو ترك أستاذه، إذا لم يستفد من الدرس نتيجة انخفاض المستوى العلمي للأستاذ أو عدم جدوى أسلوب تفهيمه وتدريسه، لان الوقت أغلى من كل هذه المجاملات والصداقات والبحث عن أستاذ آخر، وفي كثير من الأحيان يلتحق الطالب بحلقات درس الأساتذة المعروفين في العلم والإفادة، ويشارك مع الآخرين في الدرس من حيث انتهى إليه الأستاذ حتى ينتهي من الكتاب ثم يعود ويقرأ ما فاته من الدروس الأولى على نفس الأستاذ أو أستاذ آخر (آل محبوبة، ١٩٥٨، صفحة ٣٧٩).

– أماكن الدراسة وزمانها :

تتوزع أماكن دراسة طلاب الحوزة العلمية وتتنوع بين أماكن عدة فمن غرف الصحن الحيدري وآوينه الأربعة والأربعين، وأكثرها ارتياداً منها إيوان السيد الحبوبي وإيوان السيد اليزدي وغيرها، إلى الجوامع والمساجد، وقد تجاوزت في المحلات القديمة وحدها من النجف الثمانين مسجداً وجامعاً، ولعل من أقدم هذه الجوامع التي اتخذت مراكز للعلم والبحث والمحاضرة جامع عمران بن شاهين، الذي شيد في أواسط القرن الرابع الهجري وأصبح مكاناً للبحث والتدريس وكان الإمام محسن الحكيم يلقي فيه أبحاثه، وجامع الخضراء وهو من المساجد القديمة وكان المرجع الإمام الخوئي[*٢] (الواسطي، ١٩٩٨، صفحة ٤٩) يلقي فيه أبحاثه ثم استمر من بعده الإمام السيستاني[***٣] (الصغير، د.ت، صفحة ١٧٣)، يحاضر فيه، ومن الجوامع كذلك جامع الشيخ الطوسي وكانت داراً لهُ عندما هاجر إلى النجف، ومنتدى للعلماء والدارسين في زمانه، وجامع الشيخ الأنصاري الذي كان الإمام الخميني يلقي فيه أبحاثه وخطبه، وجامع الهندي الذي يعد من أشهر جوامع الدرس والتدريس في النجف وأكثرها ازدحاماً بالحلقات البحثية، وقد شيده خان محمد أحد صلحاء الهند في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

ومن أماكن الدراسة الحوزوية كذلك المدارس وهي كثيرة منها مدرسة جامعة النجف الدينية ومدرسة البغدادي والحسينيات ومنها حسينية الشوشترية وكان يلقي فيها الإمام محمد باقر الصدر أبحاثه، وربما يتخذ الأستاذ وطالبه أحياناً من بيت الأستاذ أو بيت طالبه مكاناً لدرسهما أو مناقشتهما العلمية وهو أمر شائع إلى حد ما ولا سيما في الظروف الأمنية الصعبة (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، صفحة ٧٦). وقد يلتقي الأستاذ وطلبته للدرس في المقابر المشيدة ذات غرفه وساحة، مثل مقبرة آل الشيخ راضي، ومقبرة آل الجواهري ومقبرة آل كاشف الغطاء، ومقبرة آل الخليلي

(*) الإمام الخوئي: من أكبر المراجع في النجف الاشرف وزعيم حوزتها العلمية، إذ تزعم آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي الحوزة العلمية في النجف في حياة الإمام محسن الحكيم بعدَ أن مارس التدريس فيها منذ الثلاثينات من القرن العشرين، وبعد وفاة الإمام محسن الحكيم أصبح الإمام الخوئي المرجع الأعلى للشيعة في العالم الإسلامي، إذ سادت مرجعيته على نطاق واسع في أوساط المسلمين العرب وغير العرب وقد تميز الإمام الخوئي عن بقية الفقهاء بأنه صاحب مدرسة عقلية خرجت مجموعة كبيرة من المجتهدين ربما لم يجتمع ذلك لفقيه إمامي في تاريخ الزعامة الشيعية من قبل، والسبب في ذلك أن الإمام الخوئي سعى لتخريج نخبة عالية من الطلاب خلال أكثر من نصف قرن، تأثروا بمدرسته الفكرية، وكتبوا تقارير بحوثه في علمي الفقه والأصول، وقد بلغ عدد الطلاب الذين تخرجوا على يديه أكثر من خمسة الآلاف من أفاضل العلماء.

(**) الإمام السيد علي السيستاني: هوَ السيد علي بن السيد محمد باقر بن السيد علي الحسيني السيستاني النجفي، ينتهي نسبه إلى الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد في خراسان في ٩ربيع الثاني ١٣٤٩هـ –١٩٣٠م. أشتهر بلقب السيستاني تبعاً لجده الأعلى السيد محمد الذي تعين في منصب (شيخ الإسلام) في سيستان في عهد السلطان حسين الصفوي، فأطلق لقب السيستاني على ذريته من بعده.

ومقبرة آل الشيرازي وغيرها، ومن الواضح انه كلما كانت الدراسة في المراحل الأولى وحلقات الدرس ضيقة كلما كانت الأماكن مشتركة وأصوات المدرسين أكثر، وكلما كانت الدراسة متقدمة أكثر، كان المكان أهدأ حتى يكون التلميذ منتبهاً إلى الدرس أكثر، ولهذا ترى بأن حلقات كثيرة تواصل الدراسة في جامع واحد كبير أو متوسط إذا كانت الدراسة في مراحلها الأولى، ولكن درس الخارج يستدعي فراغ المسجد من جميع حلقات الدرس حتى إذا كان رحباً وواسعاً كي يسود الهدوء (الغروي، ١٩٩٤، صفحة ٢٣٢)

أما بالنسبة لزمان الدراسة فلا يوجد وقت محدد ومعين للدراسة في الحوزة، وإنما يتحدد الوقت من خلال الاتفاق الذي يتم بين الأستاذ والتلميذ، فقد يتفقان على وقت مابين الطلوعين بعد أداء فريضة الصبح أو بعد طلوع الشمس أو قبل غروب الشمس بساعة أو بعد صلاة العشاء ين أو....فأن أمر الوقت متروك إلى الأستاذ والتلميذ حسب فراغهما (الغروي، ١٩٩٤، صفحة ٢٣٢)، وتتوقف الدراسة في الحوزة العلمية في بعض المناسبات منها يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع، وشهر رمضان، وأيام ذكرى وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، والأعياد الإسلامية (الغروي، ١٩٩٤، الصفحات ٢٣٥-٢٣٦)

- الأقسام الداخلية لطلاب الحوزة العلمية:

في النجف الاشرف أكثر من أربعين مدرسة حوزوية هي مكان لسكن ودراسة طلاب الحوزة العلمية مجاناً، يتوفر فيها اغلب المستلزمات الضرورية لسكن متواضع مكون من غرفة صغيرة تتسع لأثاث الطالب وأمتعته وكتبه الدراسية وأوراقه وملازمه وما إلى ذلك من شؤون حياته المختلفة، ولا سيما إذا كان من خارج مدينة النجف تخفيفاً من عبء الدراسة ونفقتها التي ربما تكون قاسية عليه من دون سكن مبذول له، وقد بلغ عدد المدارس في عام ١٣٨٥هـ اثنتين وثلاثين مدرسة فيها (٩٥٢) غرفة، وتعد المدرسة السليمة أو مدرسة المقداد السيوري الفقيه الحلي أقدم مدرسة علمية في البحث بالمعنى المألوف اليوم لكلمة مدرسة حوزيه إذ أنشئت في أوائل القرن التاسع الهجري، أعقبتها مدرسة الشيخ عبد الله اليزدي إذ أنشئت في منتصف القرن العاشر الهجري تلتها المدرسة الغروية التي أنشأها السلطان عباس الصفوي في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ثم مدرسة الصدر التي أنشأها الوزير محمد حسين الاصبهاني وذلك في سنة ١٢٢٦هـ، ثم مدرسة المعتمد التي أنشئت قبل سنة ١٢٦٢هـ، فالمهدية التي أنشئت عام ١٢٨٤هـ، فالقوام التي أنشئت عام ١٣٠٠هـ.

ولعل من أجمل المدارس القديمة مدرسة الخليلي الكبرى التي أسسها الميرزا حسين الخليلي سنة ١٣١٦هـ، في محلة العمارة وتشتمل على ست وأربعين غرفة من طابقين متخذة شكل مربع وقد كسيت جدرانها بالقاشاني المنقوش برسوم فنية رائعة وقد هدمها نظام صدام معَ ما هدم من المدارس والجوامع والحسينيات والمكتبات ودور العبادة

ومنازل العلماء الكبار ومقابرهم مابين الصحن الشريف ومرقد العبد الصالح صافي صفا مقيماً بدلها فنادق سياحية ومرآب للسيارات (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، الصفحات ٧٦-٨٧) ولعل من أجمل المدارس الحديثة جامعة النجف الدينية ودار الحكمة التي شيدها الإمام محسن الحكيم عام ١٣٨٥هـ، وفجرها نظام صدام بعدَ انتفاضة شعبان ١٩٩١ [*٤] (البياتي، ٢٠٠٤، صفحة ٢٨٢).

- مراحل الدراسة :

إن مراحل الدراسة في الحوزة العلمية تختلف عن المراحل العلمية في المدارس الحديثة إذ أنها تنقسم إلى ثلاث مراحل، ولكل مرحلة كتباً خاصة ومحاضرات محددة وهذهِ المراحل الثلاثة هيَ:-

- المرحلة الأولى

دراسة المقدمات:

وهي أول مرحلة من مراحل الدراسة في الحوزة العلمية إذ يدرس الطالب في هذهِ المرحلة عادة العلوم المساعدة للتخصص في الفقه مع مقدمات علم الفقه إذ يدرس فيها الطالب علوم اللغة من نحو، وصرف، وبلاغة...، وعلم المنطق، وعلم الكلام، والفلسفة الإلهية، إضافة إلى علوم التفسير، والحديث والرجال والتاريخ والأدب العربي ودواوين الشعر (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، صفحة ٤٠) وهذه المرحلة تختلف عند الطلاب العرب عن غيرهم إذ أن الطالب العربي نتيجة لغته وذوقه العربي لا يدرس الكثير من العلوم العربية وإنما يدرس سنتين تقريباً بعض الكتب العربية لتعلم القواعد النحوية بينما الطلاب غير العرب يدرسون العلوم العربية في مدة تقرب من أربع سنوات حتى يتمكنوا من القواعد العربية ويستوعبوا دقائقها ونكاتها.

وأما الكتب الدراسية في العلوم العربية للطلاب العرب من مرحلة المقدمات فهي:-

أ- الاجرومية: وهو كتاب صغير يشتمل على أوليات القواعد العربية النحوية وقد ألفها ابن اجروم.

ب- قطر الندى وبل الصدى:

---

[*] انتفاضة شعبان ١٩٩١م: وهي الانتفاضة التي قامَ بها الشعب العراقي ضد نظام صدام حسين أثر غزو نظام صدام للكويت، وبعدَ حرب الخليج الثانية في آذار عام ١٩٩١م، وقد أستخدم نظام صدام الأسلحة الكيمياوية المخففة في قمعه للانتفاضة في المدن المقدسة كربلاء والنجف.

لمؤلفه عبد الله بن يوسف بن احمد بن هاشم الأنصاري.

ج- شرح ابن عقيل:

كتاب يشتمل على أرجوزة تتكون من ألف بيت وهو المعروف بـ(ألفية ابن مالك) لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائي، وعلى شرح لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي.

د- المختصر:

لقد كتب أبو يعقوب يوسف السكاكي كتاب "مفتاح العلوم" في البيان والمعاني والبديع. ثم جاء بعده الخطيب محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ولخص كتاب مفتاح العلوم وسماه بـ"تلخيص المفاتيح" ثم تولى مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد التفتازاني عام ١٣٧٠م شرح تلخيص المفتاح بأسلوبين أحدهما مفصل ومبسوط سماه بـ(المطول) وثانيهما بـ(المختصر).

هـ -الرسالة العملية في الفقه:

إن التقليد واجب على الطالب فيندفع إلى قراءة الرسالة العملية للمرجع الذي يقلده وهذه المادة في هذه المرحلة متروكة إلى الطالب وحسب مرجعه وتقليده.

و- حاشية ملا عبد الله:

كتب سعد الدين التفتازاني كتاباً مختصراً في علم المنطق باسم تهذيب المنطق والكلام ثم جاء المولى نجم الدين عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي، وشرح المتن وعُرف الكتاب بحاشية ملا عبد الله اليزدي.

ز- منطق المظفر:

وضع الشيخ محمد رضا المظفر كتاب المنطق في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يبحث عن الألفاظ، والكلي، والمعرف والجزء الثاني عن القضايا وأحكامها، والثالث عن الصناعات الخمس وذلك لتدريس في كلية الفقه التي أسسها في النجف وسرعان ما أصبح هذا الكتاب جزءاً من الكتب الدراسية الحوزوية (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، صفحة ٧٦)

وأما الكتب الدراسية في العلوم العربية لغير طلاب العرب، من الإيرانيين والباكستانيين والهنود والأتراك، من مرحلة المقدمات فيبدؤن بدراسة كتاب "جامع المقدمات" وهو كتاب كما يظهر من أسمه يحتوي على عدة كتب كلها من الكتب المقدماتية التمهيدية وهي:-

١- الأمثلة: كتاب صغير جداً في علم صرف اللغة العربية يتولى صرف مادة الضرب" في صيغ فعل الماضي والمستقبل والأمر والنهي والجحد والنفي والاستفهام واسمي الفاعل والمفعول، ويكون المجموع مائة وعشر كلمات. كتبه السيد الشريف الجرجاني باللغة الفارسية.
٢- شرح الأمثلة: كتاب حجم صغير يتحدث عن صرف اللغة العربية، شرحه الميرزا محمد بن سليمان التنكابني باللغة الفارسية.

ج- صرف مير: كتاب في علم الصرف باللغة الفارسية يبين الأوزان للأفعال والمصطلحات الصرفية من المعتل والمهموز والصحيح والمثال، وقد وضعه السيد الشريف الجرجاني.

د- التصريف: انه كتاب عربي يتحدث عن قواعد الصرف في اللغة العربية على نسق كتاب صرف مير المتقدم ذكره.

هـ- شرح التصريف: كتاب في علم الصرف شرحه سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني.

و- عوامل ملا محسن: كتاب يبحث عن القواعد النحوية بصورة مختصرة ألفه، المولى محسن بن محمد طاهر القزويني.

ز- عوامل النحو: كتاب يبحث عن القواعد النحوية بصورة موجزة ألفه الميرزا محمد بن سليمان التنكاباني عام ١٨٨١م (الفضلي، صفحة ٦٤).

ح- الهداية: كتاب نحوي مختصر.

ط- شرح أنموذج: يحتوي الكتاب على متن للزمخشري وشرح لعماد الدين محمد بن عبد الغني الاردبيلي.

ي- الفوائد الصمدية المعروف بالصمدية: وهي تشمل على خمس حدائق للشيخ محمد بن الحسن بن عبد الصمد الحارثي المعروف بالشيخ بهاء الدين العاملي وقد كتبه عام ٩٧٥هـ.

ك- البهجة المرضية: المعروف بالسيوطي للحافظ عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر السيوطي حيث يكون شرحاً لألفية ابن مالك.

ل- مغني اللبيب: يحتوي الكتاب على ثمانية أبواب ويدرس الكثير من الطلاب غير العرب الباب الأول في مفردات اللغة العربية والباب الرابع في أحوال الجمل التي لها محل من الأعراب والجمل التي لا محل لها من الأعراب.

م- المطول [تقدم شرحه]

ن- الرسالة العملية في الفقه (الشرقي، د.ت، صفحة ٢٣).

هـ حاشية ملا عبد الله (الشرقي، د.ت، صفحة ٢٣).

ذ- منطق المظفر (الشرقي، د.ت، صفحة ٢٣).

وتستمر هذه المرحلة (المقدمات) التي تستوعب الطلاب العرب مدة سنتين ولغيرهم مدة أربعة أعوام تقريباً.

- المرحلة الثانية:

السطوح:

وهي المرحلة الثانية في سلم الدراسة في الحوزة العلمية ويدرس الطلبة العرب وغير العرب الذين يلتقون في هذه المرحلة في الكتب الدراسية، بعد الانتهاء من دراسة المقدمات الكتب المتخصصة بالفقه وأصوله وتسمى سطوحاً كون ان الدراسة تعتمد على عبارة الكتب مقابل الخارج الذي يعتمد على المحاضرات التي لا تختص بكتاب معين (الشرقي، د.ت، صفحة ٤٧)، والكتب المعروفة لدراسة السطوح هي:

أ- الروضة البهية في شرح اللُمعة الدمشقية: المشتملة على متن فقهي مختصر لمؤلفه محمد بن جمال مكي العاملي، وشرحه زين الدين الجعبي العاملي، ويجمع الكتاب بين دفتيه جميع الأبواب الفقهية.

ب- المكاسب: للشيخ مرتضى الأنصاري وهو كتاب فقهي اجتهادي استدلالي يتناول أبحاث البيع والتجارة بكل أبعادها وتفاصيلها.

ج- الرسائل: لمؤلفه الشيخ مرتضى الأنصاري ويشتمل الكتاب على أبحاث القطع والظن والأصول العملية والتعارض والتراجيح.

وقد تتجاوز الدراسة في هذه المرحلة أيضاً إلى غيرها من الدروس التي تخرج عن الاختصاص (من فقه وأصوله) مما يحتاج الطالب المقبل على التخصص في علوم الشريعة المقدسة، وتستمر مرحلة السطوح عادةً أربعة أعوام دراسة ويصبح بعدها الطالب مهيئاً للالتحاق بمرحلة الخارج (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، صفحة ٤٨).

- المرحلة الثالثة:

الخارج: وهي المرحلة الثالثة في الحوزة العلمية

ويدرس فيها الطالب علوم الفقه وأصوله وغيرها مما يحتاج إليه الباحث في عملية استنباط الأحكام الشرعية دراسة استدلالية معمقة تعرض فيها أراء الفقهاء في كل مسألة من المسائل العلمية محل البحث ثم يناقش أستاذ البحث الخارج الآراء المعروفة وأدلتها التفصيلية رأياً حتى إذ انتهى من ذلك كله عرض رأيه المختار مستدلاً عليه بما له من أدلة وحجج وبراهين فإذا انتهى من الاستدلال والبحث ناقشه طلابه بما يوافقه عليه من رأي أو بما يستوضحه من بيان.

وتعد هذه المرحلة (الخارج) بداية التحقيق وإبداء النظر والاجتهاد إذ يحضر الطالب بحث الأصول وبحث الفقه ومن اللازم عليه أن يكون في مستوى استيعاب الدرس الذي يستغرق ثلاثة أرباع الساعة أو أكثر من دون كتاب يقرأ فيه ولهذا تسمى هذه المرحلة بالخارج لأن الأستاذ يلقي الدرس من دون كتاب ويجب على الطالب الانتباه الكامل إلى الدرس لاستيعابه فيكون التدريس من خارج الكتب.

وبعد أن يكمل الطالب مرحلة البحث الخارج بإتقان ويحصل على إجازة الاجتهاد ومن قبل أستاذه يبدأ بتشكيل حلقة خاصة من الطلاب الجدد. ويتدرج في سلالم التدريس فتشيع سمعته وينتشر صيته في الأوساط العلمية والشعبية على حد سواء، وذلك من خلال طلابه (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، صفحة ٤٨).

وقد امتازت جامعة النجف العلمية بمنح هذه الدرجة العالية التي يعترف بها في كثير من الأقطار الإسلامية ويعمل بفتاوى مجتهديها في تلك الأقطار. وتجري الدراسة في مرحلة "بحث الخارج" هذه على طريقة المناقشة والمحاورة إذ تكون عادة من دورات (أشبه ما تكون بالدورات التي تعقد في الجامعات الحديثة في موضوع معين يتولاها كبار العلماء المجتهدين في الفقه والأصول بإلقاء محاضرات يومية يشرح فيها الأستاذ مسألة من المسائل

المطروحة للبحث شرحا وافيا يتطرق فيه إلى آراء المذاهب الإسلامية المختلفة,ويستعرض أدلتها حول قضية من القضايا الفقهية أو الأصولية أو غيرها,ثم يبدي رأيه الخاص مع الدليل,ولكل أستاذ طريقته وأسلوبه في البحث ووضع منهج الدرس والأسس العلمية التي يقررها.

وتعقد هذه الدورات عادة بحضور عدد كبير من الطلاب,ويعتمد ذلك على شهرة الأستاذ ومنزلته العلمية ودقة منهجه وأسلوبه في إلقاء الدرس.

ويتمتع الطلاب في أثناء المحاضرات بالحرية التامة في المناقشة وإبداء الرأي, ولذا لا يتردد الطالب عن مناقشة أستاذة في أي قضية تتصل بموضوع الدرس والأستاذ يوجهه ويشجعه على المتابعة والتعمق في البحث وقوة الملاحظة، مما يدفع الكثير من الطلاب إلى التصدي لبلوغ درجة الاجتهاد.

ويمتاز أسلوب الدراسة في هذه الدورات بإتاحة الفرصة للطالب لتقوية ثقته بنفسه وتشجيعه على إبداء آرائه في تقارير مكتوبة يقدمها إلى أستاذه فإنّ حازت رضاه منحه شهادة مكتوبة تسمى(إجازة الاجتهاد) وعندما يحصل الطالب على هذه الإجازة يصبح مجازا وهذا يعني أنه بلغ درجة الاجتهاد وأصبح مجتهدا .يتضح مما تقدم أن طريقة التدريس هذه التي قد لا تبعد عن طريقة التدريس في المدرسة النظامية أو المدرسة المستنصرية أيام بني العباس، وهي طريقة ذات نظام تعليمي وأسلوب يستند على أسس علمية واعتبارات تربوية ونفسية ،أثبت علم النفس الحديث فائدتها في ترغيب الطالب في الدرس إذ تتاح له حرية اختيار موضوع وكتاب الدرس المعتمد، كما أنّ مكانة الأستاذ ومنزلته العلمية تحتل دورا مهما وحيويا في اجتذاب الطلاب إلى حلقات الدرس، واستمرارهم على مواصلته حتى بلوغ درجة الاجتهاد وهي أعلى المراحل.

هذه المرحلة بعكس المرحلتين السابقتين، لا تكون إلاّ جماعية، وذلك أن عدداً كبيراً من الطلاب الذين أنهَوا دراسة المرحلتين السابقتين، يلتقون حول واحد من كبار المجتهدين، فيحاضِرهم ارتجالاً في الأصول أو في الفقه، فيعرض عليهم المسألة، شارحاً لها شرحاً مستفيضاً ، يُبرز فيه جميع الآراء الإسلاميّة ومذاهبها ، ثمّ يناقش تلك الآراء مناقشة دقيقة ، كما يناقش أدلتها ، ثمّ يُدلي هو برأيه في المسألة ، عارضاً دليله على ما ارتآه.

وإذا كنّا قد قلنا: إن طلاب هذه الدروس، هم ممن أنهَوا المرحلتين الأوليتين، أي ممن أصبحوا على أبواب الاجتهاد، فربما كان طلابها أيضاً من المجتهدين أنفسهم، إذا كان الأستاذ من الأعلام المتفوقين ، الذين يستفيد من دروسهم حتّى المجتهدون، كما حدث في دروس الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني(صاحب الكفاية), الذي كان يلتقي في حلقة تدريسه فريق من المجتهدين، يستمعون إليه ويأخذون عنه.

وإذا كنا قد عَدَدنا الكتب المقرّرة في المرحلتين السابقتين فإننا لا نعدد هنا كتباً، إذ أن التدريس هنا، لا يعتمد على كتاب خاص ، ما عدا ما يمكن أن يُعين الطلاب على المراجعة.

ومما تمتاز به هذه المرحلة، هو إطلاق حرية المناقشة للطلاب على أوسع الأبواب، فترى الطلاب يناقشون الآراء والنظريات مع الأستاذ، مناقشة النِد للنّد، فيتعودون الثقة بأنفسهم، والاعتماد على آرائهم، لأنهم سيكونون في المستقبل مرجعاً للناس.

والذي يُصغي للمناقشات في تلك الدروس، يعلم أنّها فريدة في أسلوب التدريس العلمي، بما فيها من حرية وعمق ودقة، وبما تنطوي عليه من توجيه رائع، وسعة آفاق وتشجيع، مما لا نحسب أن له نظيراً في أي تدريس جامعي آخر.

ولابد أن تكون كذلك، لأنّها تعد الرجال لينالوا أضخم إجازة علمية، هي إجازة: (الاجتهاد),فليس يسيراً أن يصبح العالم مجتهداً.

أين تُعقد الدروس؟ ربما تبادر للذهن، أن هناك قاعات للدرس، وكليات للمحاضرات، مع أنه لا شيء من ذلك في حوزة النجف؛ فمكان الدرس غير محدّد، فربما كان في بيت الأستاذ نفسه، على أنّه كثيراً ما يكون في المساجد الرحبة البعيدة عن الضجيج، فيجلس الطلاب على الأرض، متحلقين حول الأستاذ، فإذا كثر عددهم اتسعت صفوفهم غير نظيمة، واضطر الأستاذ لأن يجلس على المنبر، ليُسمِع صوتَه إلى أقصى الحضور.

ولعل التجديد الوحيد الذي دخل على هذا التدريس، هو أن الأساتذة صاروا يستعملون مكبرات الصوت، ليوصلوا أصواتهم إلى أبعد طالب بلا جهد ولا عناء.

وكما سبقت الإشارة، فليس هناك كتاب مقرر بعينه يدرس في مرحلة(بحث الخارج) ولكن هناك مراجع عديدة معتمدة تواكب تفكير الطالب ومستواه العلمي . (الحكيم ع.، ٢٠٠٤، الصفحات ٦٤-٦٧)

- لغة الدراسة:

ترتبط لغة التدريس في مرحلة المقدمات بالقومية التي ينتمي إليها الطالب فأن الطالب العربي يختار أستاذاً عربياً والطالب التركي يختار أستاذاً تركياً، والطالب الهندي يختار أستاذاً هندياً والطالب الإيراني يختار أستاذاً إيرانياً أو يختار الطلاب من غير العرب أستاذاً عربياً يتقن لغتهم وأما في مرحلة السطوح فغالباً تكون الدراسة بإحدى اللغتين العربية أو الفارسية مع العلم بأن اللغتين في تدريس الفقه والأصول والفلسفة متقاربتان جداً، ولهذا ترى أن عدداً

كبيراً من الطلاب العرب يحضرون على أساتذة إيرانيين فيستوضح الأستاذ أو يناقشه باللغة العربية ويجيب عليه الأستاذ باللغة الفارسية فأن كلاً منهما يفهم لغة الآخر. وأما في مرحلة الخارج فأن الدراسة تكون باللغة العربية خاصة في الآونة الأخيرة. ولو قام أستاذ بإلقاء الدرس باللغة الفارسية فلغة تدريس العلوم الدينية باللغة الفارسية قريبة جداً من اللغة العربية وتكون مفهومه للعرب وغيرهم (الحكيم، ٢٠٠٤ صفحة ٨١)

الألقاب العلمية:

تقدم الحوزة العلمية في النجف الاشرف لطالب الدراسات الدينية ألقاباً تعرب عن المرحلة العلمية التي بلغها الطالب. وهذه الألقاب المعروفة هيَ:-

الفاضل: من كان كل وشك الانتهاء من مرحلة المقدمات بجدارة وإتقان.

العلامة: كل من أنهى مرحلة السطوح باستيعاب كامل وجدية تامة ويقوم بتدريس بعض الكتب من مرحلة المقدمات على المبتدئين.

الحجة: إذا أنهى دورة في بحث الأصول وشيئاً كثيراً من الفقه على مستوى الخارج بتفهم ودقة وكان لامعاً بين زملائه في استيعاب الدروس من مرحلة الخارج.

أية الله: المجتهد المطلق.

أية الله العظمى: المجتهد المطلق الذي تولى الإعلان عن فتاويه وآرائه الفقهية للناس بطبع الرسالة العملية للمقلدين.

المرجع: المجتهد المطلق الذي يُقلد عند بعض الناس.

المرجع الأعلى: هو المرجع والفقيه الذي دانت له الأمة، ورجعت إليه عملياً ووثقت بقيادته، وأبوته لها، فهو من الناحية العملية مجتهد، وفقيه: كأي واحد من الفقهاء أو أعلى منهم علمياً، ومن الناحية الاجتماعية يتمتع بثقة عالية من قبل الأمة من خلال تجربة طويلة يعيشها في تلك الأمة، ومن الواضح أن هذه الألقاب لاتعطى لأصحابها المستحقين لها من جهة في الحوزة تقوم بهذه الأمور بل تقدم من الأساتذة المعروفين إذ يقرون هذه الألقاب عبر مرور الزمان وفي المجالس المختلفة وفي أحاديثهم ومخاطباتهم ومراسلاتهم. (القبانجي، د.ت، صفحة ٨).

- الامتحان والشهادة:

إن الحوزة العلمية في النجف الاشرف لا تقوم بإجراء امتحان ولا تقديم شهادة علمية إلا إذا بلغ الطالب مستوى الاجتهاد وطلب من أساتذته تزويده بشهادة يثبت للناس وصوله إلى هذه المرحلة العالية من العلم والمعرفة في علم الفقه وعلم الأصول. وأما قبل هذهِ المرتبة فلا نجد امتحاناً ولا شهادة من الحوزة للطالب (الهاشمي، ٢٠٠٦، الصفحات ٣٤-٣٦)

وليس معنى ذلك أن الحوزة تعيش عالم الفوضى والإهمال واللامبالاة تجاه من يدرس ويجتهد ومن لا يأبه بالدرس والبحث بل هناك طرق أخرى لمعرفة المستوى العلمي للطلاب (الغروي، ١٩٩٤، صفحة ٢٧٠).

فمن خلال النشاط العلمي في الحوزة العلمية من المناقشة والتدريس والتحقيق والتأليف يتحدد للعلماء المستوى العلمي الذي يبلغه الطالب في الدراسات الدينية، وفي كثير من الأحيان يبلغ الطالب مرحلة الاجتهاد وتعترف باجتهاده الحوزة من دون أن يحمل شهادة الاجتهاد من المراجع الكبار. (الغروي، ١٩٩٤، الصفحات ٢٣٧-٢٣٨)

- العمامة في الحوزة العلمية:-

لا تشترط الدراسة الدينية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف في زياً خاصاً ومعيناً، بل لا يستطيع كل إنسان مهما كان زيه الحضور في حلقات الدراسات الإسلامية من دون رادع مهما كان مستوى البحث من ناحية المقدمات أو السطوح أو الخارج.

ولكن المتعارف عليه في النجف أن الطالب المبتدئ عندما يلتحق بالحوزة يحافظ على زيه السابق ويبتدئ بدراسة المقدمات ثم يتعمم بعدَ أن يقطع شوطاً من دراساته التمهيدية ويتعمم البعض الآخر عندما ينهي مرحلة المقدمات وينتقل إلى مرحلة السطوح وقلما تجد طالباً في مرحلة السطوح لم يكن معمماً ونادراً ما تواجه طالباً في مرحلة الخارج من دون عمامة. والعمامة مظهر إسلامي ومن آداب اللباس في الإسلام (الغروي، ١٩٩٤، صفحة ٢٤١) ، وقد اعتادت الطائفة الشيعية في أنحاء العالم على أن العمامة السوداء رمز لكل من ينتمي عن طريق أبيه من ناحية النسب إلى بني هاشم ورسول الله صلى الله عليه وآله ومن ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام، وإن العمامة البيضاء رمز لمن لم يكن منتمياً إلى رسول الله عليه وآله من ناحية الأب. رغم أن كلاً منهما يدرسان الدراسة الدينية والعلوم الإسلامية نفسها بدون أدنى تفاوت أو اختلاف.

– نفقات الحوزة العلمية في النجف الاشرف:

إن التدريس في الحوزة العلمية في النجف مجاناً فالأستاذ لا يأخذ من الطالب أجراً لقاء تدريسه ولا يتكلف الطالب أي نفقات أثناء دراسته فالدراسة مجانية إذ تقوم المرجعية الدينية بتخصيص رواتب شهرية لطلاب الحوزة على اختلاف درجاتهم وتعتمد في مواردها على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون طوعاً من مختلف الأقطار ولم يكن للحوزة أي مورد حكومي. (محسن، ١٩٩٨، صفحة ١٠)

لقد فرض الله سبحانه وتعالى على المسلمين ضرائب مالية تسمى بالخمس والزكاة والكفارات من كفارة الإفطار العمدي في شهر رمضان وكفارة نقض العهد واليمين والنذر وكفارة القتل وكفارة مرتكب بعض تروك الإحرام. وهذه الأموال بشكل عام على قسمين:

١– الأموال المطلقة المحررة :

التي يجب صرفها في كل ما فيه رضى الله مثل أموال سهم الإمام والزكاة إذ يجوز صرفها في تشييد الأبنية وإطعام الفقراء ومساعدة المحتاجين.

٢– الأموال المقيدة في اطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين:

كما هو مصرف كل أنواع الكفارات ولا يجوز صرفها في البناء أو مساعدة أحد للدواء أو الزواج (الغروي، ١٩٩٤، الصفحات ٢٤٣–٢٤٤).

الخاتمة

يتضح مما تقدم أن طريقة التدريس في الحوزة العلمية تتبع منهج علمي وقد لا تبعد عن طريقة التدريس في المدرسة النظامية أو المدرسة المستنصرية، وهي طريقة ذات نظام تعليمي وأسلوب يستند على أسس علمية واعتبارات تربوية ونفسية، أثبت علم النفس الحديث فائدتها في ترغيب الطالب في الدرس إذ تتاح له حرية اختيار موضوع وكتاب الدرس المعتمد ،كما أنّ مكانة الأستاذ ومنزلته العلمية تحتل دورا مهما وحيويا في اجتذاب الطلاب إلى حلقات الدرس، واستمرارهم على مواصلته حتى بلوغ درجة الاجتهاد وهي أعلى المراحل..

المصادر والمراجع

أحمد الواسطي. (١٩٩٨). سيرة وحياة الامام الخوئي (قدس) (المجلد الأولى). بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

جعفر الشيخ باقر آل محبوبة. (١٩٥٨). ماضي النجف وحاضرها (المجلد الاولى). النجف: مطبعة الآداب.

حامد البياتي. (٢٠٠٤). ربع قرن مع شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم (المجلد الأولى). بغداد: مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي.

صدر الدين القبانجي. (د.ت). بحوث في خط المرجعية. د.م: بلا ناشر.

عباس القمي. (١٤٢٦هـ). مفاتيح الجنان (المجلد الاولى). قم: مطبعة أسوة.

عبد الحسين الصالحي. (٢٠٠٤). الحوزات العلمية في الاقطار الإسلامية. لندن: د.ن.

عبد الهادي الحكيم. (٢٠٠٣). حوزة النجف حامية الاسلام ورافعة لواء التجديد فيه. لنتدن: مجلة النور – دار النور للنشر – السنة الثالثة – العدد ١٤٦.

عبد الهادي الحكيم. (٢٠٠٤). حاضرة النجف الاشرف وحوزتها العلمية العريقة...قراءة في التأسيس والمنهج. لندن: مجلة النور، العدد ١٥٩.

عبد الهادي الفضلي. (بلا تاريخ). دليل النجف الأشرف.

علي الشرقي. (د.ت). الاحلام.

لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم. (١٤٣٢هـ). اعلام الهداية. لبنان: مطبعة مجاب.

محسن محمد محسن. (١٩٩٨). من التنظيم الدراسي في النجف الاشرف. بيروت: د.م.

محمد الغروي. (١٩٩٤). الحوزة العلمية في النجف الاشرف (المجلد الأولى). بيروت: دار الاضواء.

محمد باقر الحكيم. (١٤٢٤هـ). الحوزة العلمية: نشؤوها...مراحل تطورها... أدوارها (المجلد الأولى). قم: مطبعة عترت.

محمد جعفر النوري. (٢٠١٣). دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية (المجلد الاولى). النجف: دار الهدى.

محمد حسين علي الصغير. (د.ت). أساطين المرجعية العليا المعاصرين.

محمد صادق الهاشمي. (٢٠٠٦). دور الحوزة العلمية في الوحدة الاسلامية. بغداد: مركز العراق للدراسا.

محمد صادق بحر العلوم. (١٩٦١). مقدمة رجال الطوسي. النجف: بدون دار نشر.

References:

Abbas Al-Qomi. 1426 AH. The keys to heaven. Qom: Aswa Press, 1426 AH. First volume.

Abdul Hadi Al-Fadhli. Guide to Najaf Al-Ashraf.

Abdul Hadi Al-Hakim. 2003. The Najaf Seminary is the protector of Islam and the flag bearer of its renewal. London: Al-Noor Magazine - Dar Al-Noor Publishing - Third Year - Issue 146, 2003.

Abdul Hadi Al-Hakim. 2004. The city of Najaf Al-Ashraf and its ancient seminary...a reading of the foundation and method. London: Al Noor Magazine, Issue 159, 2004.

Ahmed Al-Wasiti. 1998. Biography and life of Imam Al-Khoei (Jerusalem). Beirut: Dar Al-Hadi for Printing, Publishing and Distribution, 1998. First volume.

Ali Al-Sharqi. (d.t.). Dreams. Unknown location: (D.M.), (D.T.).

Hamed Al-Bayati. 2004. A quarter of a century with the martyr of the shrine, Mr. Muhammad Baqir al-Hakim. Baghdad: Shaheed Al-Mihrab Foundation for Islamic Propagation, 2004. Volume One.

Jaafar Sheikh Baqir Al-Mahbouba. 1958. Najaf's past and present. Najaf: Al-Adab Press, 1958. Volume One.

Mohsen Mohamed Mohsen. 1998. From the academic organization in Najaf Al-Ashraf. Beirut: (D.M.), 1998.

Muhammad Al-Gharawi. 1994. The seminary in Najaf Al-Ashraf. Beirut: Dar Al Adwaa, 1994. Volume One.

Muhammad Baqir Al-Hakim. 1424 AH. The seminary: its origins... its stages of development... its roles. Qom: Atrat Press, 1424 AH. First volume.

Muhammad Hussein Ali Al-Saghir. Contemporary masters of supreme reference.

Muhammad Sadiq Bahr Al-Ulum. 1961. Introduction to Tusi's Men. Najaf: Without Publishing House, 1961.

Sadr al-Din al-Qabbanji. D.T. Research in reference line. D.M.: No publisher, D.T.